قصة جوا



تمهيد

ظلت قصة جوا جزءا لا يتجزأ من قصة الهند كلها حتى سنة ١٩٤٧ ، ذلك لان الروابط التى تربط بينهما ليست روابط جغرافية فحسب . فالهند ليست مجرد اصطلاح جغرافى ، بل هى ، ككل دولة مكتملة النمو وترتكز على أسس قومية ، تؤلف من أجزائها وحدة تاريخية وجنسية وروحية . وهكذا استطاعت الهند ان تكون لنفسها خلال العصور نمطا ثقافيا خاصا بها وطابعا تمتاز به عن غيرها

وينحدر اهل جوا من نفس الاجناس التى استوطنت شبه القارة الهندية منذ اقدم العصور ، ونبتت لغتهم وازياؤهم وطعامهم واسلوب عباداتهم من نبع الهند وتشكلت كلها بتراثها العتيد . فهم ، كأبناء الهند ، قد ورثوا حضارة كان من اهم محاسنها قدرتها على استيعاب المؤثرات الخارجية ، فخرجت من ذلك أكثر حيوية وأمتن عودا . انها حضارة كان من أهم ما اضفته على تاريخ البشرية « التسامح » : روحا وعملا . ففى ارض الهند وجدت الديانات العظمى موئلا سمحا لها وقامت كلها جنبا الى جنب فى حرية ووئام . واذا كانت الهند قد تعرضت خلال تاريخها الطويل لغزوات عديدة هدم خلالها كثير من اماكن العبادة فيها وتعرضت كتبها المقدسة للتلف ، فقد ظل التسامح مع ذلك تقليدا ثابتا فيها لا يتزعزع . نعم لقد قامت فى دلهى امبراطوريات لم تلبث ان بادت ، وتداولت على البلاد غزوة أثر غزوة ، ولكن الحياة الهندية استمرت تجرى فى طريقها من غير اضطراب او انقطاع حتى ان اكثر فاتحيها قسوة واقلهم رحمة لم تطاوعهم نفسهم على القضاء على حضارتها المتصلة منذ القدم اذ وجدوا فيها نموذجا فذا عز عليهم اقتلاعه

وجوا جزء من هذا النموذج الفذ ، فهى بلد هندى فى صميمه ، ووضعها من الهند هو كوضع دوفر من بريطانيا ، ومرسيليا من فرنسا سواء بسواء

لقد تعاقبت على الهند سلسلة من الملوك ، منهم الهندوس ومنهم البوذيون ، وحكمها سلاطين واباطرة مسلمون ، وكان آخر من وفد عليها من الخارج دول الغرب : بريطانيا ، وفرنسا ، والبرتغال . فاستولت فرنسا على بونديتشرى ، والبرتغال على جوا ، وبريطانيا على سائر اجزائها . وظل الحال كذلك حتى انسحب البريطانيون والفرنسيون من اراضيها طوعا ،

وبقى اهل جوا يتطلعون الى جلاء البرتغاليين عن بلادهم بعد ان فازت سائر اجزاء الهند باستقلالها . وكان من حقهم ان ينتظروا من البرتغال ان تعترف بالتطورات الحديثة فى حياة الشعوب فتجلو هى كذلك عن اراضى الهند راضية مرضية ، ولكن هذه الآمال المشروعة لم تتحقق ، وترتبت على ذلك حالة شاذة يصعب على اصحاب العقول المفكرة ان يجدوا لها تفسيرا او يلتمسوا لها تعليلا

وانى لنا ان نجد تعليلا لتلك الحالة ونحن لا ندرى من اى جانب من جوانبها المتناقضة نلتمس هذا التعليل ؟ انجده فى السيطرة الاستعمارية على بلد يقع فى ركن من أركان العالم استطاع فيه كل بلد آخر ان يحكم نفسه بنفسه ، أو هو فى طريقه الى ذلك ؟ أم نراه فيما يحتج به المستعمر من ان بقاءه ضرورى للمحافظة على الحضارة المسيحية فى جوا بينما هو فى الحقيقة يطمس معالم المسيحية فيها بما يؤمن به ويمارسه من شريعة السيف ؟ أم هو ياترى فيما يدعيه المستعمر من ان الامن والنظام فى جوا رهن ببقائه فيها بينما هو يقضى على الحرية ويقوض اركانها ، تلك الحرية التى كلفت العالم حربين عالميتين قامتا باسمها ومن أجلها ؟

لقد جاء وقت كان يحتمل الا تثار فيه هذ الاسئلة حين كانت آسيا كلها تقريبا فريسة للحكم الاجنبى الذى ظل جاثما على صدرها اجيالا عديدة ، وكان من الجائز أن يتقبل أهلها مثل هذا الوضع فى استخذاء واستسلام ، ولكن من الصعب ان تبقى هذه الاسئلة مطوية فى صدور الناس بعد ان استيقظ كل ركن من اركان آسيا من سباته وبعث اهلها من جديد فاخذوا يجاهدون لتحقيق كيانهم المستقل . وما من شك فى ان من لا يلقى بالا الى هذا البعث الجديد فانما هو رجل لا يدرك كنه أكبر ثورة حدثت فى تاريخنا المعاصر . ان حرية الشعوب لم تعد سلعة تمنع عن الناس ارضاء لأهواء الحاكم أو تحقيقا لشهواته ، ولا منحة توهب لهم مكافأة لهم على حسن سلوكهم ، فلقد دخل على ميدان السياسة الدولية عنصر جديد ، ذلك هو يقظة الرجل الاسيوى ، فلم يعد فى الامكان الحد من رغبته فى التعبير عن وجوده باسلوبه الخاص وفى الحياة وفق تقاليده الموروثة ، وهو يصر على تحقيق كيانه لان كرامته تقتضى منه ذلك . انه ينادى بحقه فى ان يتجول فى قارته وهو مرفوع الرأس موفور الكرامة لانه يؤمن ، وبحق ، بأن ذلك هو أبسط حقوقه الطبيعية

واهل جوا — مثلهم كمثل مواطنيهم الهنود — يسعون الى تحرير انفسهم بوسائل سلمية ، احتراما لرسالة التسامح التى ورثوها عن تقاليدهم الماضية ، ويأملون ان تستمع حكومة البرتغال التى تحاول استذلالهم الى تعاليم المسيحية التى تتغنى بها ، فترفع قبضتها عن بلادهم لتحل محلها صلات جديدة قائمة على الصداقة والمودة والمساواة لا يمكن ان تنبت او تترعرع الا فى ظل الاستقلال

وها نحن نورد فى الصفحات التالية من هذا الكتيب نبذة موجزة عن تاريخ جوا وجهاد اهلها واملهم فى ان يتاح لهم من الحرية ما اتيح لاخوانهم فى سائر الهند

الجيوب البرتغالية فى الهند

على الرغم من ان جوا ، ودامان ، وديو تؤلف فيما بينها مايطلق عليه البرتغاليون «مقاطعة الهند» ، فان جوا وحدها هى التى لها مساحة تذكر ، اذ يبلغ مسطحها ١٫٣١٢ ميلا مربعا ، اما دامان فلا تزيد مساحتها على ٢١٠ ميلا مربعا ، واما ديو فلا تتجاوز مساحتها الصغيرة ١٤ ميلا مربعا . وجملة عدد سكان هذه الجهات كلها ٦٣٧٫٥٩١ نسمة وفق آخر احصاء أجراه البرتغاليون فى سنة ١٩٥٠ .

ولجوا مرفآن طبيعيان ، هما مارماجوا وبانجيم ، يقعان على مصبى نهرى جوارى وما ندوفى . وقد ذاعت شهرة هذين المرفأين اللذين يقعان على الساحل الغربى للهند منذ اقدم العصور ، فكان ملاحو العرب والفرس والترك يحملون متاجر الشرق ونفائسه عن طريقهما الى جهات العالم المختلفة

على أن اهميتهما من الناحية الاستراتيجية لم تظهر بجلاء الا خلال الحرب العالمية الثانية اذ لجأت اليهما بعض السفن التجارية الالمانية ، وهناك ضبطت وهى ترسل تقارير منتظمة باللاسلكى عن الاحوال الجوية وغير ذلك من البيانات التى تفيد الاسطول البحرى الألمانى . وقد أماط اللثام عن هذه الحقيقة فيما بعد السير ا . راماسوامى موداليار الذى كان وقتئذ عضوا بوزارة الحرب . وعولج الموقف اذ ذاك بتدخل السير ونستون تشرشل واستخدام نفوذه الشخصى مع البرتغال

الأسس التاريخية

فيما قبل الحكم البرتغالى

ترجع صلات الهند القديمة بجوا وغيرها من المستعمرات البرتغالية الى نيف وخمسة آلاف سنة ، ويمكن للباحث أن يتتبع سيرتها الأولى فى الملاحم الهندية الشهيرة : الراماياتا والمهاباراتا . وقد ورد ذكر جوا فى اقدم المخلفات الهندوسية تحت اسماء جوابورى ، وجوباكباتنا ، وجومانت ، والاسم الاخير معناه « الارض الخصبة ذات المناخ المعتدل » وهو اسم على مسمى ووصف ينطبق على جوا كل الانطباق

وكان أول من استوطن جوا عشيرة من عشائر الجنس الدرافيدى يطلق عليها كاناديجا . وقد درج أحد ملوكهم على دعوة كهنة البراهمة من طبقة الساراسوات ، فى شمالى الهند ، الى بلاطه ، فحلوا فى جوا وأقاموا بها حيث أخذوا يدعون اهلها الى الهندوسية . وهكذا أخذت جوا تتأثر لاول مرة فى تاريخها بتعاليم الهندوسية

أما البوذية فقد أخذت جذورها الاولى تمتد فى جوا فى عصر الملك آسوكا . وانتقلت جوا من بعده ، فى حوالى سنة ٢٠٠ قبل الميلاد ، الى حكم ملوك كادامب الذين كان لهم سلطان على بانفاسى فى جنوبى الهند . وكان من بينهم ملك قوى — هو تريلوتشانا كادامب — تولى العرش حوالى سنة ١٢٠ بعد الميلاد فوطد حكم أسرته فى جوا . على أن تشاندرا جوبتا موريا استطاع أن ينتزعها لنفسه بعد ذلك عقب انتصاره على بينجال ، أمير ساوراشترا فأصبحت جوا جزءا من مقاطعة ابارانتا احدى الامارات التى تشملها امبراطورية تشاندرا جوبتا

ثم مالبث تشاندراديتيا ، أخو الملك بولكاسيم العظيم ، وواحد من سلالة فرع من اسرة تشالوكيا التى كانت هى الاخرى تحكم فى جنوب الهند ، ان اقام عاصمة ملكه فى تشاندرا بورا التى تقع مكان تشاندور الحالية فى جوا . وقد ظل احفاد الملك تريلوتشانا كادامب ، الذين يعرفون بأمراء باتبورا ، يحكمون جوا قرونا عديدة ، ثم نقل الملك جاياكيسى ، وهو واحد من ملوك هذه الاسرة ، عاصمة ملكه فيما بعد الى جوابورى

وقد ازدهرت جوا فى عهد الملوك والامراء الهندوس حتى ذاع صيتها بين مدن الشرق ، فأنشئوا فيها القصور ، وبنوا المعابد ، وأقاموا الحصون ، وشيدوا غير ذلك من المبانى الجميلة ، وأصبحت جوا بفضل اصلاحاتهم مركزا هاما للتجارة ، بل أضحت قاعدة تجارية من قواعد



« برج النور » بأحد معابد جوا وقد تجلى فيه أثر حضارة الهند وثقافتها

الشرق لايدانيها فى أهميتها مكان آخر فى الهند قاطبة

واخذ الاسلام بعد ذلك يؤثر فى حياة جوا منذ سنة ١٣١٢ ، عندما استولى عليها الملك كافور . وفى سنة ١٣٤٧ تمكن حسن جانجو بهامانى ، مؤسس الأسرة البهامانية فى كالبورجا ، من بسط سلطانه عليها وعلى الجهات المحيطة بها ، ولكنه ما لبث أن انسحب منها بعد أن انتزعها منه فيديارانجا مادهافا ، أحد ملوك امبراطورية فيجايا ناجار القوية . وعاد الوزير البهامانى محمود خواجة فى سنة ١٤٧٢ فاستعادها لملوك الاسرة البهامانية . وبقيت كذلك حتى انتقلت ، بعد سقوط تلك الأسرة ، الى سلطان بيجابور واصبحت جزءا من سلطنته

وقد انتعشت جوا خلال القرن الخامس عشر تحت حكم امرائها المسلمين حتى أصبحت ملتقى للملاحين من جميع بلاد الشرق ، ومحطا للمسلمين من جنوبى الهند وهم فى طريقهم الى مكة لأداء فريضة الحج ، واقيمت فيها المساجد الفخمة التى جاءت مثالا رائعا على خير ما انتجته الهند فى فن المعمار الاسلامى ، وبنيت فيها القصور الفخمة التى تتفق ومكانتها المالية والتجارية ، كما شيدت الحصون والقلاع فى دامان وديو ، حتى لقد كان يوسف عادل شاه ، سلطان بيجابور ، يمضى معظم وقته فى ذلك الاقليم ، وبلغ شغفه به وتقديره لأهميته انه أراد أن يتخذ من جوا عاصمة لامبراطوريته فى اقليم الدكن

البرتغاليون يغدون على جوا

وهنا ، فى تلك المرحلة الهامة من تاريخ جوا ، أخذ البرتغاليون يظهرون على مسرح الحوادث فيها ، اذ دفعهم استكشاف جزر الهند الغربية على يد كولومبوس والرغبة فى انتزاع تجارة التوابل المكسبة التى تنتجها أسواق الشرق من يد البندقيين والمصريين ، الى البحث عن طريق بحرى مباشر يوصل الى الهند . فأرسل الامير البرتغالى هنرى الملاح بعثات بحرية لهذا الغرض عن طريق رأس الرجاء الصالح حتى وفق فاسكو دى جاما الى كشف الطريق المنشود فنجح فى الوصول الى كاليكوت فى سنة ١٤٩٨ لاول مرة . ثم حط رحاله ، فى رحلته الثانية الى الهند ، عند جزيرة انجاديف ، على مقربة من شاطئ جوا

وقد اقتصرت جهود البرتغاليين فى أول الامر على انشاء علاقات تجارية لهم مع بلاد الهند ، فحاولوا أن يقيموا مصنعا لهم فى كاليكوت بعد أن استأذنوا فى ذلك اميرها زامورين . ولكنهم لم يلبثوا أن استغلوا الخلافات المستعرة بين أمراء مالابار والمنافسات القائمة بينهم فشرعوا ينتزعون بعض الجهات الساحلية على شاطئ الهند الغربى ، وجاء الفونسو البوكيرك مع حملة اليها فى سنة ١٥٠٩ لتحقيق أهداف البرتغاليين الاستعمارية فيها . فلما أحبطت محاولاته أمام شجاعة زامورين واقدامه ، وكان أميرا قويا يمتاز ببسالته ، لجأ الى الدس ، فاوحى الى ولى العهد بأن يضع السم للامير . واعترف البوكرك نفسه بذلك فى خطاب ارسله الى ملك البرتغال يقول فيه . « لقد قتل نامبيا ديرى الامير زامورين ، فوضع له السم بعد أن الححت عليه فى جميع خطاباتى التى ارسلتها اليه أن يفعل ذلك »

وفى فبراير سنة ١٥١٠ ، وبينما السلطان يوسف عادل شاه بعيد عن مقر حكمه ، استولى البوكيرك على جوا ، ولكنه لم يلبث أن أجلى عنها بعد عودة السلطان ، ثم عاد فى ٢٥ نوفمبر فأغار على المدينة وجرت بينه وبين السلطان موقعة دموية وصفها القائد البرتغالى فى خطاب منه إلى ملكه يقول فيه : « وبعد ذلك أحرقت المدينة ، واعملت السيف فى أهلها حتى جرت الدماء كالأنهار ، ولم نذر عليها مسلما حيا ، فأينما وجدنا المسلمين فتكنا بهم وحشدناهم فى مساجدهم ثم اشعلنا النار فيها . وقد بلغ عدد من احصيناهم من قتلاهم ٦٠٠٠ عدا . لقد كانت تلك المعركة يا مولاى معركة عظيمة ، خضناها أبطالا ، وانهيناها على خير ماكنا نشتهى»

وبعد أن استولى البرتغاليون على جوا اتجهوا الى جزيرة ديو لما تتمتع به ، على صغر مساحتها ، من موقع استراتيجى ممتاز . وكانت الجزيرة خاضعة لسلطان جوجيرات ، فأراد السلطان أن يحقن الدماء وان يجنب أهلها ما لقيه مواطنوهم فى جوا من الأهوال فعرض ان يسلمها لالبوكيرك . وسارع البرتغاليون الى الاستجابة الى هذا العرض . ولكن السلطان عاد فعدل عن رأيه ، فأعلن عليه البرتغاليون حربا شعراء ، وسار الحاكم البرتغالى ، نونو داكونها ، الى الجزيرة فى أسطول قوامه ٤٠٠ سفينة فى سنة ١٥٣١ واعمل رجاله فى أهلها قتلا ، فذبحوا رجالها ونساءها وأطفالها . واستسلمت « ديو » لهم . ولكنهم اضطروا بعد ذلك الى الانسحاب منها بعد وصول الاسطول التركى الذى جاء لمعاونة سلطان جوجيرات

على أن البرتغاليين عادوا بعد ذلك بسنة فاستولوا على الجزيرة بعد أن تنازل لهم عنها السلطان بهادر شاه مقابل معاونتهم له فى حربه ضد هومايون امبراطور المغول . ولكن البرتغاليين ما كادوا يشرعون فى بناء حصن جديد على مقربة من املاكه حتى أدرك السلطان الخطر المحدق به واستبان مايضمره البرتغاليون فى نفوسهم ، فحاول أن يحل المسألة بسلام ، وبدأت المفاوضات بين الطرفين فى عرض البحار على ظهر سفينة برتغالية ؛ ولكن خلافا حدث بين الطرفين انتهى باغراق السلطان فى اليم . وحاول ابنه من بعده اجلاء الغاصبين ولكن محاولاته ذهبت ادراج الرياح وهكذا أصبحت ديو جزءا من « امبراطورية الهند » البرتغالية

وحاول البرتغاليون بعد ذلك أن يضموا دامان الى املاكهم فاشتبكوا معها فى عدة مواقع ، قتّلوا فيها السكان المدنيين تقتيلا ، ولكنهم رغم ذلك لم يفلحوا فى الاستيلاء عليها الا بعد وفاة زامورين حين اغتصبوها عنوة فى سنة ١٥٥٨ ودخلها براجانزا ، نائب الملك ، على رأس قواته دخول الفاتحين ثم أمر بهدم مساجدها وقتل كل من يبدى مقاومة من سكانها ، وتم للبرتغاليين الاعتراف بسلطانهم فى دامان بعد أن عقدوا معاهدة لهذا الغرض مع مادهانا راو ، أمير المهراتيين

بعث الشعور القومى فى جوا

وقد تضافرت عوامل ثلاثة على اثارة حفيظة الاهالى البرتغاليين واذكاء العداوة لحكمهم ، منها ماهواقتصادى ، ومنها ماهو سياسى ، ومنها ماهو دينى . فأما من الناحية الاقتصادية فقد استغل البرتغاليون هذه

المستعمرات استغلالا سيئا لا رحمة فيه حتى افقروا أهلها . وأما من الناحية السياسية فقد حرموهم كل حق فى ادارة شئون بلادهم مما وسع هوة الخلاف بينهم وبين حكامهم . وأما من الناحية الدينية فقد أثار هدم المساجد والمعابد والاعتداء المنكر عليها ما فى نفوس الاهالى من حقد على المستعمرين ، وضاعف من كراهيتهم اسراف البرتغاليين الجزويت فى حركات التبشير حتى تجاوزوا فى ذلك كل حد ، معتمدين فى غلوهم على ما دأب ملك البرتغال والكنيسة البرتغالية على تقديمه من حماية لهم

وقد احدثت هذه العوامل الثلاثة اثرها ، فافاقت العناصر القومية من سباتها بعد نصف قرن من حكم البرتغاليين ، واخذ الوطنيون فى جوا فى الثورة على حكامهم الاجانب المرة تلو المرة ، حتى بلغت ثوراتهم عليهم أربعين ثورة ، بدأت فى الربع الثانى من القرن السادس عشر واستمرت متقطعة حتى بداية القرن العشرين . وكان البرتغاليون يلجأون فى اخماد معظمها الى وسائل العنف واساليب الشدة التى لاهوادة فيها

وكان من بين تلك الثورات ثورة قامت فى سنة ١٥٥٥ كانت بداية لعشرين ثورة أخرى ، كلما اخمدت واحدة قامت أخرى ، بسبب مافرضه البرتغاليون على الاراضى من ضرائب باهظة رفض الاهالى دفعها وقابل المستعمر رفضهم بفرض عقوبات شديدة على العصاة ومصادرة أملاكهم واعادة توزيعها على غيرهم

وفى سنة ١٧٥٥ اعلن السكان فى ناحية ساتارى استقلالهم ورفضوا ان يذعنوا لحكم البرتغاليين ، واستمروا يقاتلونهم عشرات السنين حتى غلبوا على أمرهم فى النهاية أمام قوات تفوقهم عددا وعدة . ثم تلا ذلك عصيان حامية دامان فى سنة ١٧٨٠ ، وكانت تتألف من جند من أهل جوا ، واستمروا فى عصيانهم فترة طويلة . وفى سنة ١٧٨٧ جمع بادريس بنتوس ، وهو أحد الوطنيين فى جوا ، اتباعا كثيرين ، من بينهم سبعة عشر رجلا من رجال الدين ، وقاموا جميعا يناهضون حكم البرتغاليين . ولكن اثنين من أعوانه وشيا به عند الحكام واظهراهم على خطته . وقد جاء فى كتاب من وضع كونها ريفارا ، كتب باللغة الكونكانية تحت عنوان « ثورة سنة ١٧٨٧ » ، وصف مسهب للاسلوب الذى لجأ اليه البرتغاليون فى قمع هذه الفتنة والشدة التى اخذوا بها كل من اشترك فيها ، قال فيه مؤلفه : « كان الثوار يربطون الى ذيول الخيل فتجرى بهم فى شوارع المدينة ، حتى اذا جابوا المدينة من اولها الى آخرها وهم على هذا الوضع ، قطعت أيديهم ، ثم قتلوا ، ثم وضعت رؤوسهم المفصولة عن اجسادهم على أعمدة مقامة فى الاماكن العامة ... »

على أن ثورة بادريس بنتوس لم تذهب سدى ، فقد ألهبت شعور اهل جوا وظلت أجيالا عديدة حافزا لهم على الجهاد من أجل الخلاص ، وهكذا ظلوا يحاربون البرتغاليين كلما سنحت لهم الفرصة من سنة ١٧٨٧ حتى سنة ١٩١٢ . وجدير بنا أن ننوه فى هذا المقام بما أبداه أحد ثوار جوا ، واسمه كوستوبا ، من ضروب الشجاعة وآيات البطولة ، فقد ظل يقاتل البرتغاليين وقتا طويلا دون أن تصل ايديهم اليه ، حتى قبضوا

عليه فى نهاية الامر ونفوه الى أفريقية حيث مات فى ظروف « غامضة »

وثمة رجل آخر ابدى من صنوف الشجاعة والتضحية فى سبيل بلاده ماهو جدير بالذكر ، ذلك هو ديباجى رانا ، أحد سكان راجبوت ، وكان يتعهد بتقديم الجند الذين يعملون فى جيش أمراء المهراتيين ، فقد استطاع فى سنة ١٨٥٢ أن ينظم سلسلة من حرب العصابات ضد البرتغاليين ، وقام بحملة واسعة من الدعاية بقصد اذكاء الكراهية لحكم البرتغاليين بين أهل القرى . وكان من اهم الثورات التى قادها بنفسه تلك التى وقعت فى سنة ١٨٧١ ، ثم فى سنة ١٨٩٥ ، ثم أخيرا فى سنة ١٩١٢ ، وظل يناوىء البرتغاليين ويناهضهم حتى تغلبوا عليه بعد قتال طويل ومرير

ويلاحظ أن تلك الثورات كان ينظمها ويتولاها رجال من عامة الشعب . ولكن ليس معنى ذلك أن الطبقات المثقفة كانت تقف من الشعور القومى موقفا سلبيا ، بل انها على العكس كانت تبدى شعورها الوطنى كلما وجدت الى ذلك سبيلا . من ذلك ماحدث فى سنة ١٨٣٤ حينما اعترض السكان البرتغاليون فى جوا على تعيين برنادو داسيلفا ، وهو أحد الوطنيين . فى منصب رئيسى ، وقاموا يطالبون بفصله ، فاحتج الأهالى على ذلك وثاروا لكرامتهم ونادوا ببرنادو داسيلفا حاكما على دامان ، وعلى ديو كذلك : كما قام المغتربون من أهل جوا ، وهم فى منفاهم فى بلجوم ودهاروار وبونا وبومباى ، بتنظيم جيش من المتطوعين لمحاربة البرتغاليين . ولكن سيلفا وقع آخر الامر فى قبضة البرتغاليين فأبعدوه الى لشبونة وفتكوا باتباعه فتكا ذريعا

كذلك نرى منيزيس براجانزا ينقد « قانون المستعمرات » الذى اصدره الدكتور سالازار رئيس وزراء البرتغال ويطالب باستقلال جوا استقلالا تاما

وهكذا يتبين لنا أن جذور حركة التحرير فى جوا تمتد الى الماضى البعيد ، وأن مصدرها والهامها جاء من الأهالى أنفسهم الذين هبوا لمقاومة حكم البرتغاليين الغاشم مدفوعين بعاملين ، شعورهم الوطنى ، وامتعاضهم من سوء الادارة البرتغالية

المهاتما غاندى يناصر قضية جوا

على أن الوطنيين فى جوا قد ادركوا انه لا سبيل الى خلاصهم من حكم البرتغاليين الا بمساعدة تأتيهم من الخارج . ولم تكن الهند نفسها قد تحررت من قيود الاستعمار بعد . فلما ظهر المهاتما غاندى على مسرح السياسة الهندية وقام يتولى زعامة الجهاد الوطنى فيها كان لدعوته صداها فى جوا وأخذ أهلها يرون بصيصا من النور يأتيهم من الهند فيبعث فيهم الامل على الخلاص من الحكم الاجنبى ، فتآخى الوطنيون فى كلا الجانبين وتآلفوا فى الجهاد بغية التحرر من عدوهم المشترك ، ألا وهو الاستعمار

لذلك ما كادت تتألف فى سنة ١٩٢٨ لجنة من بعض أهل جوا لدعم حركة الاستقلال الهندية حتى توافد عليها أهل جوا من كل حدب وصوب ، بل انهم قاموا فى سنة ١٩٤٦ بحركة مقاومة سلبية حاولت السلطات البرتغالية القضاء عليها بكل ما اوتيت من قوة وما اتيح لها من اساليب

الشدة والعنف ، فقبضت على عدد كبير من المشتركين فيها وقدمتهم للمحاكم المدنية والعسكرية فصدرت عليهم أحكام بالسجن لمدد طويلة وبالنفى فى بعض الحالات الى البرتغال او الى افريقية . وظلت البرتغال تسير على تلك الخطه حتى بلغ عدد من احتجزوا فى المعتقلات أو القى بهم فى غياهب السجون منذ يونية سنة ١٩٥٤ الفا من الوطنيين ، حسب التقدير الذى وضعته لجنة جوا الوطنية

وقد استمدت الحركة الوطنية فى جوا كثيرا من قوتها الدافعة من ذلك الخطاب الشهير الذى بعث به المهاتما غاندى فى ٢ اغسطس سنة ١٩٤٦ ردا على خطاب المستر جوس بوسا ، الحاكم العام للهند البرتغالية ، نقتبس منه العبارات التالية « ... لعلكم تعلمون اننى زرت موزمبيق وديلاجوا وانهامبين فما وجدت فيها حكومة تقوم على اسس انسانية ، بل لقد هالنى ماشهدته من التمييز فى المعاملة الذى فرضته الحكومات بين الهنود والبرتغاليين ، وبين هؤلاء وبين الافريقيين انفسهم . بل ليس فى تاريخ الحكم البرتغالى فى الهند ما يؤيد المزاعم التى ذهبتم اليها فى خطابكم . والواقع أن مارأيته من الاحوال فى جوا ، وما اعلمه عنها ، ليس فيه مايمكن أن يفاخر به انسان . ان صمت الهنود من اهل جوا لايقوم دليلا على سلامة حكومتكم ولا برهانا على رعايتها لخير السكان ، بل هو حجة دامغة على مايلاقيه هؤلاء السكان من عنت وما يتعرضون له من صنوف الارهاب . واغفروا لى اذا رأيتنى عاجزا عن أن أوافقكم على رأيكم الذى ذهبتم اليه حين قلتم ان أهل جوايتمتعون بحرية كاملة وأن الشعب انما هو قاصر على أقلية من الموتورين

« ان كل رواية وصلتنى شخصيا ، او ظهرت فى الصحف فى هذا الجانب من الهند ، لتؤيد عكس ماذهبتم اليه . ولعل الحكم الذى أصدرته محكمتكم العسكرية على الدكتور براجانزا بالسجن ثمانى سنوات ، وما يذاع عن اتجاه النية الى ابعاده الى احدى المستعمرات البرتغالية النائية . لهو فى ذاته برهان كاف على أن الحرية المدنية سلعة نادرة الوجود فى جوا . والا فلم يعامل مواطن يعرف ماعليه من واجبات ، مثل الدكتور براجانزا ، هذه المعاملة ؟ ولماذا تختصونه بالنفى خارج البلاد ؟ ... »

واختتم المهاتما غاندى خطابه بقوله « ولهذا فانى أرجو أن تراجعوا آراءكم عن الروح الخيرة ، وعن الحرية المدنية ، وعن التمييز العنصرى ، وأن تسحبوا قوات البوليس الافريقية ، وتعلنوا على الملأ تعضيدكم الكامل للحرية المدنية ، بل انى لشديد الأمل فى أن تسمحوا لأهل جوا ، اذا وجدتم الى ذلك سبيلا ، بوضع نظامهم الحكومى وبالاستعانة فى ذلك بمن هم أطول خبرة منهم من سكان الهند ، أمهم الرعوم ، بل وبالاستعانة بكم انتم كذلك »

ومما هو جدير بالذكر ان الحاكم العام البرتغالى لم يرد على هذا الخطاب



معبد فى مانجنكسيم بجوا ، وهو نموذج أصيل لفن المعمار الهندى

منظر للبهو الداخلى فى أحد المعـابد بجوا ، وهو لا يكاد يختلف فى شىء عن سائر معابد الهند . ويرى بعض رجال الدين الهنـدوس وهم منصرفون الى « تأملاتهم »



الروابط الثقافية بين جوا والهند

اربعة قرون كاملة من حكم البرتغاليين لم تستطع ان تجرد أهل جوا من طابعهم الهندى . لقد كانت جوا قبل الغزو البرتغالى تحوى من المعابد والمساجد ، ومن الحصون والقصور ، ما يعتبر من خير نماذج المعمار فى الهند . وفى لحظة من التعصب ، قلما يحدث مثلها فى تاريخ الشعوب ، قضى المتبربرون من البرتغاليين على هذه البيوت المقدسة التى اقيمت لذكر الله ، وازالوا ما فيها وفى غيرها من آيات الفن . بل لقد كتب البوكيرك نفسه الى ملك البرتغال يقول : « انى لا ادع للمسلمين بيتا او مسجدا قائما ، وما من أحد منهم يقع فى يدنا حيا الا أمرت بشيه شيا . . . »

ومع ذلك ، وعلى الرغم من هذا الاسراف فى تخريب دور العبادة ، سواء ماكان منها للمسلمين أو للهندوس ، فلا يزال بعض المعابد الهندوسية قائما فى جوا ، وقد اوردنا صورا لبعضها على صفحات هذا الكتيب

ولم يقف اثر البرتغالين عند هذا الحد بل عبثوا بعبادات الناس عبثهم بعاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية ، فارغموهم على ترك بعض احتفالاتهم التقليدية التى تتصل بالمواليد والزواج ، وأوغلوا فى حملات تبشيرية واسعة النطاق ارغم فيها الكثيرون على اعتناق المسيحية

ورغم هذه الجهود التى بذلت للقضاء على تراث جوا فلا يزال ٦١ فى المائة من مجموع سكان المستعمرات البرتغالية فى الهند يدينون بالهندوسية ، يقابل ذلك ٣٦ فى المائة من المسيحيين و٣ فى المائة من المسلمين ومن ديانات آخرى

ويلاحظ فى هذا المقام ان سكان جوا ممن يحملون اسماء برتغاليـــة لا ينحدرون من اصل برتغالى ، ولكنهم هنود ، لحما ودما ، سموا باسماء مسيحية عند تحولهم الى الدين المسيحى . ولا يقتصر هذا القول على جوا وحدها ، بل هو ينطبق على جميع اجزاء الهند اينما وجدت الطوائف المسيحية

واللغة الدارجة فى جوا هى الكونكانية ، وهى لهجة مشتقة من اللغة الماراتية ، احدى اللغات التى يتكلمها الناس فى ولاية بومباى . والكونكانية ،



منظر لبعض العمال فى جوا وقد انهمكوا فى اعداد الفول السوداني والحمص . ويلاحظ أن أحدهم قد ارتدى العمامة ، والآخر القلنسوة

احد أسواق جوا ، انه يشبه أسواق الهند لا فرق بينه وبينها



مثلها مثل الماراتية والجوجيراتية ، مشتقة فى الاصل من لغة ماجهادان براكريت التى تفرعت عن السانسكريتية

اما فى دامان فاللغة الشائعة هى الجوجيراتية ، وهى احدى لغات الهند الاقليمية ، ولا يكاد يزيد عدد من يتكلمون اللغة البرتغالية من سكان جوا على ٣ فى المائة من جملة عدد السكان

اما العادات والتقاليد ، واما الازياء والآداب الاجتماعية بين معظم سكان جوا ، فهى لا تزال حتى اليوم هندية فى طابعها ، حتى ليستحيل التمييز فى ذلك بين اهل جوا وبين مواطنيهم فى الجهات الهندية القريبة

المستعمرات البرتغالية

تعتمد فى اقتصادياتها على الهند

لقد كان حظ جوا وغيرها من الأراضى الهندية الخاضعة لحكم البرتغاليين ، فى النواحى الاقتصادية ، اسوأ حتى من حظ سائر البلاد الهندية ابان الحكم البريطانى

ومع أن جوا منطقة زراعية تمتاز بخصوبة ارضها ووفرة حاصلاتها فانها لاتنتج من المواد الغذائية مايكفى لسد حاجة السكان على قلة عددهم ، وهى لذلك مضطرة الى الاعتماد على الهند اعتمادا كبيرا للحصول على مواردها من الارز والقمح والفاكهة والخضر واللحوم . كذلك معظم حاجاتها الاستهلاكية العادية كالفحم الكوك ، والمنسوجات القطنية ، والصابون ، والدخان ، والشاى ، ترد اليها كلها من الهند

وتهيىء الهند بدورها سوقا مجزية لصادرات جوا من السمك ، والملح ، وجوز الهند ، وبعض الثمار الاخرى

ومع أن جوا لاتكاد تصدر شيئا من حاصلاتها الى البرتغال ، فانها مضطرة الى استيراد الانبذة والسردين وزيت الزيتون منها . وقد اعترف الدكتور سالازار نفسه بأن كمية التجارة المتبادلة بين البرتغال وممتلكاتها الهندية لا تتعدى ٧٥ر. فى المائة من جملة تجارة البرتغال ... أما نصيب الاتحاد الهندى من تجارة هذه الممتلكات البرتغالية فانه يصل الى ٢٠ فى المائة من واردات تلك الممتلكات والى ٤٠ فى المائة من صادراتها ، وهو أمر طبيعى لا غرابة فيه

وينبغى الا يعزب عن البال كذلك أن صلات جوا التجارية ، سواء مع البرتغال نفسها أو مع الممتلكات البرتغالية الاخرى ، لا تكاد تصل الى ٦٧ر٧ فى المائة من مجموع تجارة الصادرات والواردات التى تزاولها تلك المستعمرة

والواقع أن ارتباط جوا بعجلة البرتغال قد سبب لها مضايقات اقتصادية أضرت بمستقبلها وحالت دون انتعاشها . فلقد أرغمت جوا على الانضمام الى اتحاد جمركى يقتضيها ان تتنازل عن نحو ٨٠ فى المائة من نصيبها من الرسوم الجمركية على السلع التى تستوردها بلاد أخرى تشترك فى عضوية هذا الاتحاد . ولما كانت جوا فى الوقت نفسه لاتصدر شيئا الى تلك البلاد فان خسارتها من الرسوم الجمركية الضائعة تصبح مضاعفة ، وثمة ضرر آخر أصابها من جراء هذا الاتحاد الجمركى ، فهى مضطرة الى استيراد حاجتها من السكر من شركة فى موزمبيق يقال ان

الموظفين البرتغاليين يملكون عددا كبيرا من اسهمها ، بدلا من ان تستورد حاجتها من هذه السلعة من جافا وموريشيوس حيث الاسعار أقل من أسعار شركة موزمبيق

العملة والمصارف

وكذلك تعتمد جوا اعتمادا كبيرا فى معاملاتها المالية على العملة الهندية التى تؤلف نحو ثلثى العملة المتداولة فيها . ويمكننا أن نتبين أهمية العملة الهندية بالنسبة الى حياة جوا الاقتصادية مما حدث حينما حرمت السلطات البرتغالية ، ما بين سنتى ١٩٤٢ ، ١٩٥٢ ، استعمال العملة الهندية فى جوا ، اذ اضطر الناس فيها الى اتباع نظام المقايضة فى عمليات البيع والشراء ، ولا سيما فى المعاملات المتصلة بالمحاصيل الزراعية

والسبب فى كل ذلك واضح جلى . فان البنك الوطنى فيما وراء البحار ، وهو البنك الوحيد الذى يديره البرتغاليون هناك ، يشرف على طبع العملة وتداولها فى جوا . وهو فى الوقت عينه لايخرج من العملة ما يكفى حاجات التجارة ومطالب البيع والشراء ، ولذلك فانه كثيرا ما يلجأ الى استخدام احتياطيه من العملة الهندية لدعم العملة المحلية

ومن الامثلة على ما يلجأ اليه البنك البرتغالى فى جوا لاستغلال الناس ، وهو مثل رائع على الاستغلال حقا ، ان هذا البنك يقبل الودائع من السكان ولكنه لايدفع عنها فوائد ، ولكنه اذا قدم لهم قروضا تقاضى عنها نسبة من الفوائد تبز كل ما تتقاضاه البنوك التى تشرف عليها الدولة فى أى جزء من أجزاء العالم

التحويلات المالية الى جوا

كذلك يتبين مدى اعتماد جوا من الناحية الاقتصادية على الهند من ظاهرة أخرى ، تلك هى جملة المبالغ التى تحول الى جوا من الهند ، اذ بلغت فى سنة ١٩٥١ ، ٦٨ مليون روبية ، يقابلها ٤٦ مليون روبية حولت من جوا الى الهند ، بينما المبالغ المحولة من البرتغال الى جوا فى تلك السنة لم تتعد ٤ر١ مليون روبية والمبالغ المحولة اليها من جوا لم تزد على ٦ر١١ مليون روبية

ومعظم المبالغ المحولة من الهند الى جوا هى من افراد من أهل جوا يعملون فى الهند بسبب قلة ابواب العمل فى جوا نفسها . وقد بلغ عدد الاشخاص الذين جاءوا من جوا الى المدن الهندية المختلفة للعمل فيها ثمانين ألفا . ولقد أفاد أهل جوا مما يجمعه مواطنوهم من العمل فى الهند اذ يحول هؤلاء ما يفيض عن حاجتهم الى ذويهم فى جوا . بل أفاد منه البرتغاليون أنفسهم لستر سوءات حكمهم ، اذ كثيرا ما يعمدون فى موازنة ميزانيتهم فى تلك المستعمرة الى فرض ضرائب باهظة على أهل البلاد الذين يعيشون من المبالغ التى تحول باسمهم من الهند

تهريب البضائع

والسلطات البرتغالية فوق ذلك لاتكتفى بالتغاضى عن تهريب البضائع

بل هى فى الواقع تشجعه ، حتى أصبحت الجيوب البرتغالية فى الهند مركزا للتهريب ، فتستورد الكماليات من الخارج بكميات تزيد على حاجة البلاد واستهلاكها المحلى ، ثم تهرب بنظام محكم عبر الحدود الى الهند . وهكذا تهرب اليها كميات ضخمة من الحرير الايطالي ، واقلام الحبر الامريكية ، والساعات السويسرية ، والمشروبات الروحية ، وسبائك الذهب ، والاحجار الكريمة دون أن تدفع عليها الرسوم الجمركية المقررة . وقد بلغت جملة السلع المهربة التى ضبطتها السلطات الجمركية الهندية فى ثلاثة شهور فقط خلال سنة ١٩٥٤ ما قدر بمبلغ ٢ر٥ مليون روبية

بل أزيد من ذلك ان كميات كبيرة من المشروبات الروحية التي تقطر فى دامان تهرب بنفس الطريقة الى بومباى ، مع انها ولاية هندية تحرم بيع المشروبات الروحية تحريما قاطعا .

وهكذا ارادت السلطات البرتغالية ان تزيد من مكاسب جوا وسائر الجيوب البرتغالية فى الهند بهذا الأسلوب الفريد ، ولكنها فى الوقت عينه لم تعن برفع مستوى أهلها من الناحية الخلقية والأدبية

وما من شك فى أن اقتصاديات جوا فى حاجة الى استثمار واسع النطاق يشمل استغلال مواردها الزراعية والمعدنية والافادة من غاباتها ومساقط مائها على اسس خير مما هى الآن ، اذ لاتكاد توجد بها صناعة تذكر فى الوقت الحاضر . هذا الى ان من الممكن النهوض بمرفأ مرماجوا حتى يصبح مركزا هاما لنقل التجارة الى داخل الهند . وبينما الهند تسير قدما فى الاعداد لمشروع السنوات الخمس الثانية بغية متابعة نهضتها الاقتصادية وغير الاقتصادية التى بدأتها فى سنة ١٩٥١ ، تقف جوا وهى تتطلع الى الاصلاح الذى يجرى حولها فتتحسر على ماتلاقيه اقتصادياتها من اهمال يلفت النظر ويحز فى النفس

مساوئ الادارة الاستعمارية فى جوا

يشرف على ادارة المستعمرات البرتغالية فى جوا ودامان وديو حاكم عام تعينه حكومة البرتغال بناء على مشورة وزير الاراضى البرتغالية فيما وراء البحار ، بلشبونة . ويخضع الحاكم العام فى اداء وظيفته لهذا الوزير . وهو فيما عدا ذلك يتمتع بسلطات عليا ، مدنية وعسكرية ، وله الحق فى أن يتخطى أية سلطة أخرى فى تلك المستعمرات ، سواء فى ذلك السلطة التنفيذية أو القضائية أو الهيئات المنتخبة ، كما له حق الاشراف على شئون الخزانة العامة والشئون المالية فيها

ويلى الحاكم العام فى المرتبة حاكمان يستمدان سلطتهما منه : واحد للاشراف على دامان ، والآخر للاشراف على ديو

ويأتى بعد هؤلاء فى الاهمية المديرون الذين يتولون الادارة المباشرة فى المقاطعات الاربع عشرة التى تتألف منها تلك المستعمرات . ويعين الحاكم العام هؤلاء المديرين

ويساعد الحاكم العام مجلس مكون من ١٢ عضوا يسمى « مجلس الحاكم » ، منهم سبعة بالتعيين ، يعينهم الحاكم العام نفسه ، والخمسة الباقون بالانتخاب ، وحق التصويت ، فى انتخاب هؤلاء ، قاصر على الأربعين مموﻻ الذين يأتون فى المقدمة من حيث كمية الضرائب التى يؤدونها سنويا

وحقوق هذا المجلس محدودة جدا ، فلا يجوز لاحد من أعضائه أن يتقدم باقتراح الا بعد موافقة الحاكم العام عليه مقدما . واذا اختلف المجلس مع الحاكم العام ، وهو أمر نادر الوقوع نظرا لان أغلبية أعضاء هذا المجلس مدينون بمقاعدهم له ، أحيل موضوع الخلاف على وزير الاراضى البرتغالية فيما وراء البحار ليقضى بينهما . ومن حق هذا الوزير رفض القرار الذى اتخذه المجلس . ولذلك فقد استحال هذا المجلس الى هيئة استشارية لا أكثر

وتوجد فى المقاطعات الادارية مجالس بلدية كذلك ، يشرف عليها ويوجهها مدير المقاطعة . وللحاكم العام حق حل تلك المجالس اذا رأى ضرورة لذلك . على أن هذه المجالس المنتخبة قد اختفت فى الآونة الحاضرة وحلت محلها هيئات معينة

ولا يجيز القانون البرتغالى فى تلك المستعمرات قيام أحزاب سياسية



بعض العمال المسيحيين فى جوا يزاولون عملهم اليومى ، أتراهم يختلفـــون عن غيرهم فى أى جزء من أجزاء الهنـــد الاخرى ؟

« الاغتسال » خلال أحد المواسم الدينية عند نارفيم ، احدى القرى فى جوا،وهو منظر يذكر القارىء بمناظر شبيهة فى كثير من ربوع الهند



معارضة ، ولذلك فانه لا يوجد فيها غير حزب واحد ، هو الاتحاد الوطنى ، وهو حزب له صفة شبه رسمية ، ومرشحوه لمجلس الحاكم العام هم فى الغالب الذين يطلق عليهم الاعضاء « المنتخبون » فى هذا المجلس

كذلك تجرى الانتخابات فى تلك المستعمرات مرة كل ثلاث سنوات لانتخاب مندوبين اثنين ليمثلاها فى الجمعية الوطنية البرتغالية بلشبونة . ويكاد الانتخاب فى هذه الناحية كذلك يكون قاصرا على أعضاء الاتحاد الوطنى دون سواهم

الهيئة القضائية

والهيئة القضائية فى جوا لاتتمتع بقسط واف من الاستقلال ازاء الهيئة التنفيذية . ومن الادلة على ما للسلطة الاخيرة من سلطان عليها قضية الدكتور فورتادو ، قاضى المحكمة الادارية ببانجيم . فقد ضغطت عليه السلطات الحكومية كى ترغمه على التوقيع على خطاب احتجاج موجه الى رئيس وزراء الهند لكى تستخدمه فى الدعاية للحكم البرتغالى فى الخارج . وهددته فى سبيل ذلك بالنفى ان هو امتنع عن التوقيع . ولكن القاضى فورتادو أبى أن يرضخ ، ففصل من وظيفته . وقد أرسل بعد ذلك خطابا الى الحاكم العام قال فيه :

« حينما استدعيتمونى الى مكتبكم لتسألونى عن الاسباب التى حدت بى الى الامتناع عن توقيع احتجاج على بيان الانديت نهرو لم يكن من الصعب على أن أتبين مايدخره المستقبل لى . وقد استثاركم ردى حين قلت لكم أنى لست من المعارضين للهند ، ولذلك يصعب على أن أوقع مثل هذا الاحتجاج ، بل لقد بلغ بكم الغيظ مداه فأمرتم مدير الادارة المدنية بفصلى من وظيفتى فورا

« بل لقد سمحتم لنواياكم الانتقامية ان تبدو سافرة من غير قناع كما يتبين ذلك من تهديدكم اياى بان وزير المستعمرات بصدد تقرير ما اذا كنت أنفى الى الرأس الخضراء أو الى أية مستعمرة أخرى

« وقد أفهم ، بوصف سعادتكم ممثلا لدولة استعمارية ، ان تلزمونى بألا اتخذ موقفا معاديا للدولة التى تمثلونها ، ولكنى لن اسمح لكم بأن تدوسوا حقى ، الذى اكتسبته بحكم مولدى ، فى أن أكون هنديا فى عاطفتى ، فانى ان فعلت أكون قد دنست عاطفة من اجمل العواطف الانسانية التى تأتى فى المرتبة الثانية بعد ارادة الله »

يضاف الى كل ذلك ان المحاكم القضائية فى جوا لايجوز لها أن تبحث دستورية أى عمل تأتيه الحكومة ، وان المعتقلين السياسيين لا حق لهم فى أن يتظلموا من حجزهم بغير محاكمة ودون سند من القانون

الحريات المدنية

وكذلك الحريات المدنية لا وجود لهما فى تلك المستعمرات ، فحرية الاجتماع ، وحرية التعبير عن الرأى لا أثر لهما ، والصحافة خاضعة لرقابة شديدة ، والمطبوعات مكبلة بالقيود ، فلا يجوز طبع شىء ، بما فى ذلك الاعلانات والتقاويم وحتى تذاكر الدعوة ، من غير أن يمر على

الرقيب . بل لابد كذلك من استئذان السلطات الحكومية قبل عقد أى حفل إجتماعى أو دينى . والجواسيس منبثة فى كل مكان حتى استحال على الناس ان يبدوا آراءهم فى شئون حكومتهم سرا أو علانية ، وويل لمن يقبض عليه متلبسا بمثل ذلك ، اذ لاخلاص له فى تلك الحالة من نقمة الحكومة ، ولن يشفع له أحد حتى المحاكم نفسها

التعليم

أما التعليم ، فرغم الضرائب الفادحة التى يئن منها السكان ، فانه قاصر عن ان يفى بحاجةالناس . فلا توجد فى جوا جامعةواحدة ، وليس فى المستعمرات البرتغالية كلها غير مدرسة ثانوية ، وأخرى للطب، وثالثة لتخريج المعلمين . ولهذا فان الكثيرين من أهل جوا يضطرون بعد اتمام مراحل التعليم الاولى فى بلدهم الى الرحيل الى بومباى لاتمام تعليمهم فى مراحله العليا

وابواب العمل امام المتعلمين من أهل جوا ضيقة ومحدودة . أما فى ميدان الخدمة العسكرية فلا يجوز للوطنى أن يرتقى الى ماهو أعلى من رتبة الاونباشى

أهذه المستعمرات حقا جزء من أرض البرتغال ؟

ان مايدعيه الدكتور سالازار من أن جوا جزء من أرض البرتغال انما هو زعم لا يلبث أن يتلاشى اذا سلطت عليه أضواء الحقيقة . فلم يكن لأهل جوا فى يوم من الايام من حقوق المواطنة البرتغالية ومن الامتيازات ما للبرتغاليين انفسهم ، بل ان أهل البرتغال ليسمونهم فى كثير من الاحيان « مواطنين من المرتبة الثانية » . واذا كانت جوا حقا « اقليما برتغاليا فيما وراء البحار » ، كما يزعمون ، فلماذا يتعين على أهلها أن يكون لديهم جواز سفر ، وأن يحملوا اذنا خاصا ، قبل أن يسمح لهم بالسفر الى الجهات البرتغالية الاخرى ؟ بل ان هذا الوصف الذى يجعل من جوا « اقليما برتغاليا » لم يستخدم الا منذ سنة ١٩٤٩ بعد أن اشتدت فيها حركة الانضمام الى الهند . على ان تغيير وصف من الاوصاف لن يغير من الواقع شيئا ولن يبدل الحقيقة الثابتة ، وهى ان جوا مستعمرة مغلوبة على أمرها قد فرض عليها المستعمر مشيئته على الرغم منها ، خدمة لمصالحه الاستعمارية

مسلك الهند السلمى

فى سنة ١٩٤٩ افتتحت حكومة الهند مفوضيتها فى لشبونة ، على امل ان يكون فى ذلك ما يسهل اجراء مفاوضات تنتهى بتسوية عاجلة لمسألة الاملاك البرتغالية فى الهند . ثم بعثت باولى مذكراتها فى هذا الموضوع الى وزير خارجية البرتغال فى ٢٧ فبراير سنة ١٩٥٠ تقترح فيها على الحكومة البرتغالية الدخول فى مفاوضات ، حتى اذا ما تم الاتفاق على مبدأ عودة هذه الممتلكات الى حظيرة الهند « أمكن الاهتداء الى الوسائل الكفيلة بتحقيق ذلك عن طريق المشاورات الودية بين حكومتى البرتغال والهند » . وقد ردت حكومة البرتغال على ذلك بأنها « لا تستطيع ان تبحث ، ومن باب أولى ان تقبل : الحل الذى اقترحته حكومة الهند »

واخيرا ، وبعد ثلاث سنوات دأبت خلالها الحكومة البرتغالية على مصادرة الحريات بالتدريج وعلى اخماد الحركات الشعبية التى تنادى بالاندماج مع الهند ، ارسلت الحكومة الهندية مذكرة أخرى ، فى يناير سنة ١٩٥٣ ، الى وزارة الخارجية البرتغالية اوضحت فيها ان « الحواجز السياسية المصطنعة التى اوجدتها احداث عارضة ، والتى لم يعد لها ما يسوغها ، لا ينبغى ان تعرقل تيار النزعة الوطنية المتزايدة فى سبيل الوحدة » ، وزادت حكومة الهند على ذلك فى مذكرتها فاعطت التوكيدات الوثيقة على « ان تحتفظ لاهالى تلك الجهات بحقوقهم الثقافية ، بما فى ذلك حق استعمال لغتهم ؛ كما تحتفظ لهم بقوانينهم وعاداتهم الخاصة ، والا تحدث تغييرا فى هذه الشئون او ما يماثلها الا بموافقتهم »

واذ لم يرد من حكومة البرتغال رد على هذه المذكرة ارسلت الحكومة الهندية مذكرة اخرى الى وزارة الخارجية البرتغالية فى اول مايو سنة ١٩٥٣ اوضحت فيها انه ما دامت حكومة البرتغال لم تبد اية رغبة فى الدخول معها فى مفاوضات ، فان حكومة الهند تزمع سحب بعثتها الدبلوماسية من لشبونة ، بعد ان لم يعد هناك غرض يرجى من بقائها « ولم تعد لها فائدة عملية »

وجاء رد حكومة البرتغال على هذه المذكرة فى ١٥ مايو سنة ١٩٥٣ فاعادت فيه رأيها السابق وهو انها لا تستطيع ان تبحث هذا الموضوع ولا يمكن أن تقبل الحل الذى تقترحه حكومة الهند

وكانت النتيجة ان سحبت الحكومة الهندية بعثتها من لشبونة فى ١١ يونية سنة ١٩٥٣

وفى الوقت نفسه لجأت حكومة البرتغال الى سياسة الشدة لقمع الحركات الوطنية التى قامت فى جوا لتطالب بالاتحاد مع الهند ، فقبضت فى فبراير سنة ١٩٥٤ على الدكتور ب . جيتوند ، وهو جراح شهير ، وابعدته الى اشبونة ، لا لسبب سوى انه ابدى شعوره الوطنى . وقدمت حكومة الهند احتجاجا على ذلك سلمته الى المفوضية البرتغالية بنيودلهى فى ١٥ مارس سنة ١٩٥٤ اوضحت فيه ان « استمرار الاجراءات التعسفية، وما يصحبها من القبض على الوطنيين من أهل جوا أو نفيهم خارج البلاد بسبب ابداء رغبتهم فى الوحدة مع الهند ، من شأنه ان يكون له رد فعل شديد فى الهند »

وقد زعمت حكومة البرتغال فى ردها المؤرخ ٢٩ مارس سنة ١٩٥٤ ان « الامن والهدوء الشامل » يخيمان على الممتلكات البرتغالية فى الهند ، وان « الحريات المدنية » اكثر ما تكون توفرا فيها ، ونسبت الى الدكتورجيتوند ارتكاب « جرائم » ضد امن الدولة

وتابعت حكومة الهند جهودها ، فارسلت مذكرة اخرى بتاريخ ٣ ابريل سنة ١٩٥٤ تقول فيها : « ان القبض على الدكتور جيتوند وابعاده مع ماله من مكانة مرموقة ، ورغم انه لم ينسب اليه عمل واحد من اعمال العنف بل لمجرد تعبيره عن شعوره الوطنى ، انما يحمل فى طياته الدليل الكافى على ما يجرى فى جوا من قمع للحريات وكبت للآراء ومصادرة لكل نشاط سياسى وديمقراطى فيها » . ثم أعادت مذكرة الحكومة الهندية توكيداتها السابقة بشأن الاحتفاظ لاهل جوا بتقاليدهم الثقافية

وقد ارسلت حكومة الهند بعد ذلك عددا من المذكرات الى حكومة البرتغال ، عن طريق مفوضيتها فى نيودلهى ، تطالبها فيها بالكف عن سياسة الشدة والقمع التى تسير عليها فى جوا والاقلاع عن الاساءة الى من يلجئون الى المقاومة السلبية . وقد اشار رئيس وزراء الهند الى موقف الحكومة الهندية بازاء المستعمرات البرتغالية فى خطاب له القاه فى البرلمان الهندى فى ٢٥ يولية سنة ١٩٥٥ قال فيه : « وهكذا يتضح لكم ان حكومة الهند قد تمسكت باقصى ما يمكن من الاناة وضبط النفس فى معالجة الموقف فى جوا رغم الشعور القوى ، بل والطبيعى ، الذى يعتمل فى نفوس اهل الهند وجوا على السواء . وستظل حكومة الهند ، وفقا للسياسة العامة التى رسمتها لنفسها ، تسعى الى ايجاد تسوية سلمية ، كما تظل ترحب بالدخول فى مفاوضات مع حكومة البرتغال »

البرتغاليون لا يصدقون النية

وفى ٩ أغسطس سنة ١٩٥٤ سلمت حكومة البرتغال الى حكومة الهند مذكرة تقترح فيها تعيين مراقبين محايدين لوضع تقرير عن الموقف فى الممتلكات البرتغالية فى الهند . وسلمت الحكومة الهندية ردها على هذا الاقتراح الى وزير البرتغال المفوض فى نيودلهى فى اليوم التالى ، وقالت فى ردها : « ان حكومة الهند ، تحدوها الرغبة فى الاهتداء الى حل سلمى ،

لتقبل عن طيب خاطر اقتراح الحكومة البرتغالية ، وترجو منها ان تعين ممثليها على الفور كى يبحثوا مع ممثلى الحكومة الهندية الوسائل الكفيلة بتنفيذ فكرة المراقبين المحايدين التى اقترحتها حكومة البرتغال . وكل ما يهم حكومة الهند فى هذا الشأن أن تكون طريقة تنفيذ ذلك منزهة عن التحيز ، وان تكون عملية وسلمية » ، كما اشارت الحكومة الهندية فى مذكرتها الى « استجابتها السريعة لاقتراح الحكومة البرتغالية » ورجت ان « تبادل الحكومة البرتغالية هذه الاستجابة باستجابة مثلها » وان « يتمكن مندوبو الحكومتين من بدء مباحثاتهم دون ابطاء »

ولكن حكومة البرتغال ، بدلا من ان توافق على اجتماع مندوبى البلدين فى ٢٤ اغسطس ، كما اقترحت حكومة الهند ، اخذت تتشكك فى نوايا الحكومة الهندية وفى مسارعتها الى قبول المبدأ الذى تضمنه الاقتراح البرتغـالى الأول ، وأصرت على ضرورة قبول الحكومة الهندية مقدما لشروط واقتراحات هى من صميم ما يجب ان تتناوله هذه المفاوضات . وأخيرا رفضت الحكومة البرتغالية أن ترسل مندوبيها الى دلهى توطئة لاجتماع ممثلى الحكومتين

وقد ادت سياسة الحكومة البرتغالية ، التى تتجافى مع كل رغبة فى التعاون ، الى اقتناع حكومة الهند بأن استمرار بقاء مفوضية البرتغال فى نيودلهى لم يعد يحقق هدفا ، ومن ثم فقد سلمت الى القائم بالاعمال البرتغالى مذكرة فى ٢٥ يولية سنة ١٩٥٥ طلبت فيها اغلاق المفوضية البرتغالية بنيودلهى اعتبارا من ٨ اغسطس سنة ١٩٥٥ . ثم قررت الحكومة الهندية ، بعد ذلك بقليل . سحب قنصليتها العامة من الممتلكات البرتغالية فى الهند ، اعتبارا من أول سبتمبر سنة ١٩٥٥ ، وذلك على أثر اطلاق السلطات البرتغالية النار على بعض أعضاء حركة المقاومة السلبية قرب حدود جوا ، كما طلبت فى الوقت نفسه سحب قنصلية البرتغال العامة من بومباى وقنصليتيها الفخريتين من كلكتا ومدراس فى موعد لا يتجاوز هذا التاريخ

وقد نظم الوطنيون فى جوا اول حركة من حركات المقاومة السلبية فى ١٥ اغسطس سنة ١٩٥٤ اذ خرج المتظاهرون السلبيون فى فرق منظمة ، من داخل جوا وخارجها ، يعلنون جهادهم السلبى فى ذلك اليوم . ثم أعلنت المقاومة السلبية بعد ذلك فى مناسبات أخرى ، منها عيد الجمهورية فى ٢٦ يناير سنة ١٩٥٥ ، وذكرى جهاد جيتوند فى ١٧ فبراير سنة ١٩٥٥ ، تخليدا لليوم الذى قبض فيه على الدكتور جيتوند وأبعد من بلده الى البرتغال

ورغم اساليب الشدة والقمع التى لجأت اليها السلطات البرتغالية فان حركة المقاومة السلبية استمرت فى اطراد . وقد وقف رئيس الوزراء نهرو فى البرلمان الهندى فى ٢٥ يولية سنة ١٩٥٥ يصف قسوة السلطات البرتغالية وعنفها بازاء فرق المقاومين السلبيين الذين استطاعوا ان يشقوا طريقهم الى أرض جوا بعد أن نظموا أنفسهم فى اثنتى عشرة فرقة ، تتألف من ٨٠٠ مجاهد ، فقال : « لقد عوملوا بوحشية وغلظة ، فهوجموا وضربوا حتى فقد بعضهم وعيه ، وتقول الانباء ان منهم من ديس تحت الاقدام بعد ان



الحريات المدنية لا وجود لها فى جوا . رجال البوليس البرتغالى فى جوا وهم يدفعون أمامهم جماعات من المقاومين السلبيين - رجالا ونساء وأطفالا - اجترءوا على الاحتجاج على الحكم الاستعمارى فى جوا

لقد كان اطلاق البرتغاليين النار على المقاومين السلبيين ، العزل من كل سلاح (فى ١٥ أغسطس ١٩٥٥) ، عملا وحشيا يتنافى مع أبسط مبادىء الحضارة ، وهذه صورة تبين فريقا من أعضاء حركة المقاومة السلبية وهم يعبرون الحدود الى جوا عند تريكهول . وبعض هؤلاء لم يرجع الى أهله حيا ، وبعضهم عادا مصابا باصابات بالغة . ترى هل تسمح القوانين الدولية باطلاق النار غدرا على صدور المسالمين ؟



وقع على الارض .. وقد بلغ عدد من قبض عليهم من اهل جوا حتى الآن ، حسب المعلومات التى لدينا ، ١٢٢ شخصا معظمهم من المقيمين فى جوا نفسها . وقد تراوحت عقوبة السجن التى حكم عليهم بها من سنة الى ٢٨ سنة ، ولم يسمح لهم فوق ذلك بأن يعاملوا معاملة المسجونين السياسيين بل طبقت عليهم المعاملة التى يلقاها المجرمون العاديون »

الفتك بفرق المقاومة السلبية

ولقد كان طبيعيا ان يكون لحركة تحرير جوا صداها فى الهند ، فاستقر راى الافراد والجماعات من كل فج ، ومنهم اعضاء من مختلف الاحزاب السياسية فى الهند ، على تنظيم حركة للمقاومة السلبية ، وحددوا يوم ١٥ اغسطس سنة ١٩٥٥ موعدا لحركتهم السلمية ، فساروا فى ذلك اليوم آمنين مسالمين وهم عزل من كل سلاح . ولكن السلطات البرتغالية اتخذت من سلمهم ذريعة للنضال والنزال . وانه لمن نافل القول أن نعيد هنا ذكر الطريقة التى حصدت بها فرق الجيش والبوليس البرتغالية المتظاهرين المسالمين ، فقد اصبح امرها مشاعا ، ويكفى ان نقول ان ٢٢ منهم قتلوا برصاص البرتغاليين ، وان ٢٢٥ جرحوا ، منهم ٣٨ جراحهم بليغة .. وقد ادعت السلطات البرتغالية ، تبريرا لهذه الفظائع ، انها كانت « مضطرة الى الدفاع عن نفسها امام عنف المتظاهرين » وان الهند حشدت جنودها يومئذ على حدود جوا . وقد نقضت حكومة الهند هذا الادعاء من اساسه فى مذكرتها الى السلطات البرتغالية بتاريخ ١٨ اغسطس سنة ١٩٥٥ اذ قالت : « ان السلطات البرتغالية ولاشك تدرك تمام الادراك انه لا توجد فى اية جهة على حدود الجيوب البرتغالية فى الهند قوات هندية مسلحة البته . وهى لاشك تدرك كذلك ان قوات البرتغال المسلحة وقوات البوليس البرتغالي كانت تصوب بنادقها نحو المشتركين فى حركة المقاومة السلبية عمدا وبقصد قتلهم ، رغم انهم كانوا عزلا من كل سلاح ، بل هى لم تتردد فى اطلاق النار على امرأة كانت تشترك فى تلك الحركة »

ورغم هذه الاستفزازات ، ورغم الحاح الشعب الهندى على حكومته بأن تتخذ عملا حازما لمواجهة هذه الظروف ، فان حكومة الهند مافتئت تلتزم سياستها التى سبق ان اعلنتها من قبل وتحاول ايجاد حل سلمى لمشكلة استقلال جوا . على ان الحل الوحيد الذى يمكن ان يؤدى الى حل هذه المشكلة انما هو فى انهاء الحكم البرتغالى فى جوا بعد ان ظل جاثما على صدر هذه البقعة من ارض الهند زهاء ٤٠٠ سنة ، ولنذكر فى هذا المقام عبارة رئيس الوزراء نهرو فى البرلمان الهندى فى ٦ سبتمبر الماضى حين قال : « ان عوامل كثيرة قد اخذت تحدث اثرها ، منها ما هو دولى ، ومنها ما هو اقتصادى ، ومنها ما هو غير ذلك ، وكلها تتجه الى جعل هذه المشكلة ادنى الى الحل ، بل هى لابد فى النهاية مؤدية الى حلها »

لا خطر على المسيحية فى جوا

يشيع بعض المعتذرين عن بقاء الحكم البرتغالى فى جوا ، تبريرا منهم لهذا الحكم ، ان انضمام الجيوب البرتغالية الى الهند من شأنه أن يهدد كيان المسيحية فيها . وكان من بين المخاوف التى أثيرت أن يكون فى وحدتها مع الهند ما يؤدى الى انتهاك الهنود لحرمة قبر القديس فرانسيس اكسافيير . وليس فى الواقع شىء ابعد عن الحقيقة من ذلك . فتاريخ المسيحية فى الهند قديم يعود الى القرن الاول بعد الميلاد ، وقد اقامت الكنيسة السورية فى ربوع الهند فى أمن واطمئنان قرونا عديدة قبل ان يفد البرتغاليون اليها . وعدد المسيحيين فى الهند اليوم يفوق عددهم فى أية دولة اسيوية بذاتها ، اذ يبلغ ثمانية ملايين ، منهم خمسة ملايين من الكاثوليك . وقبر القديس توماس ، احد الآباء المسيحيين الاول ، فى مدراس ، قد ظل اجيالا وهو موضع التكريم والتبجيل

وقد أشار الكردينال فاليريان جراسياس ، رئيس اساقفة بومباى الى هذه المخاوف التى تثار فى الجو بشأن قبر القديس فرانسيس اكسافيير فى خطبة له فى ١٥ اغسطس سنة ١٩٥٤ فقال : « لقد اظهرت بعض الجهات قلقها على آثار القديس فرانسيس اكسافير وابدت خوفها من عدم توفر الحرية الدينية فى الهند . وما كنت اظن اننى بحاجة الى تبديد مثل هذه المخاوف والشكوك ، ولكنى اتساءل بدورى : ألا توجد أضرحة كثيرة لها مقامها الوطنى فى ربوع الهند المختلفة ؟ وهل كانت سلامة هذه الاضرحة يوما مثار شبهة أو مصدر خوف ؟ بل انى لأتساءل أكثر من ذلك : ألسنا نتمتع بكامل الحرية فى عباداتنا وفى شئوننا الدينية ؟

وجدير بنا ان نذكر فى هذا المقام البيان الذى اصدرته اللجنة الدائمة لمؤتمر الاساقفة الكاثوليك الذى انعقد فى بنجالور ، بالهند ، فى ١٦ فبراير سنة ١٩٥٥ اذ يقول : « ان من الافتراء على الحقيقة أن يقال أن طائفة الكاثوليك لاتتمتع بحريتها الدينية ، أو انها مثار شبهة ، أو انها تعيش فى عزلة عن سائر طوائف الشعب . بل ان مما يقوى عزيمتنا ان كثيرين من أصحاب الرأى فى طول البلاد وعرضها ، وأن زعماء الهند المسئولين ، وعلى رأسهم رئيس جمهورية الهند ورئيس وزرائها ، لا يفتأون يرددون ان المسيحية دين من الاديان القديمة المبجلة فى الهند ، وان المسيحيين يؤلفون

عنصرا كبيرا وهاما فى وحدة البلاد القومية ، وان ثقافة المسيحيين جزء لا يتجزا من تراث الهند »

لقد قال الدكتور اوليفيرا سالازار ، رئيس وزراء البرتغال امام الجمعية الوطنية البرتغالية فى ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٥٤ « ... نصل من ذلك الى ان الاحتفاظ بجوا البرتغالية امر لا غنى عنه كى تكون قاعدة للمحافظة على الدين المسيحى فى الهند ونقطة ارتكاز لبث الدعوة لهذا الدين » وما كاد هذا التصريح يصل الى آذان المسيحيين فى الهند حتى انكروا عليه هذا القول . فعقدوا اجتماعا فى نيودلهى فى ٢١ اغسطس سنة ١٩٥٥ اعلنوا فيه : « ان هذا الزعم ينطوى على تجاهل للحقيقة الثابتة وهى ان الهند تضم اكبر عدد من المواطنين المسيحيين فى اى مكان من آسيا ، وانهم يتمتعون بحرية العقيدة منذ عصور المسيحية الاولى ، وان دستور الهند يكفل لجميع المواطنين ، بما فيهم المسيحيون ، الحق فى اعتناق دينهم الخاص وممارسته والدعوة اليه »



كنيسة سان توماس القديمة بمدراس (بالهند) ، وقد بقيت قرونا
عديدة أثرا له قدره ومكانتـــه لاحد الآباء المســـيحين الاول

الخلاصة

لا شك فى ان كل بحث نزيه مجرد عن الغاية سيصل بصاحبه الى الايمان بان استقلال الهند قد جعل بقاء الاستعمار البرتغالى فى جوا امرا لا يتفق وتطور الزمن ، فما بالك واهل جوا انفسهم ينادون بحريتهم ، مصممون على صون كرامتهم . ان جوا ، ان هى عزلت حقيقة عن مجرى الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية فى الهند ، لا تستطيع ان تعيش طويلا ، ذلك لأن ينابيع الحياة التى تتفجر فيها انما تستمد ماءها العذب من ينابيع الهند ، فاذا انقطعت صلتها بها جفت بالتدريج ونضب معينها . ان مصير اهل جوا مرتبط كل الارتباط بمصير الهند نفسها ، مستقبلهم الاقتصادى من مستقبلها وحياتهم من حياتها ، ففى الهند ــ الأم الرءوم ــ تقع الموارد الضخمة ، وتتهيأ الزعامات ، التى تستطيع ان تكفل لجوا حظا وفيرا من مشروعات الانعاش والنهوض الاقتصادى بعد ان ركدت الحياة الاقتصادية فى ذلك الاقليم قرونا عديدة حتى اسنت من كثرة الركود . بل ان تاريخ اهل جوا نفسه ليشهد بانهم لم يخضعوا يوما لسلطان الاستعمار عن رغبة فيه ، وبان مشاعرهم الديمقراطية لم تجد لها متنفسا من خلال النظم القائمة فيها التى تندر معها فرص التقدم ، وتكثر مظاهر السيطرة ، وتعم المحن

ان جوا اليوم فى قبضة حكومة اجنبية بيدها السلطان ، وهى تحاول بما لها من قوة ان تخنق صوت الشعب الحر ، فتحرمه من حرياته المدنية ، وترغمه على الاذعان ، وتشيع بينه الارهاب

لقد قال الدكتور سالازار مرة امام الجمعية الوطنية البرتغالية « ان دولة البرتغال الهندية الصغيرة هى اقليم برتغالى ، بل هى الاقليم الذى يرتبط تاريخه بشخصيات برتغالية عظيمة كانت من خير الشخصيات التى اخرجها الشعب البرتغالى ووهبها للتاريخ . اننا نجاهد ــ وأرجو الا يكون فى ذلك ما يغضب احدا ــ حتى تظل جوا رمزا على الاستكشافات البرتغالية وعنوانا على تلك الروح العظيمة التى حملها الغرب معه الى الشرق » . ونسى رئيس وزراء البرتغال او تناسى انه اذا كان فاسكو دى جاما ، والبوكيرك ، وداكونها ، والميدا ، يعتبرون من ابطال البرتغاليين ، فان مجرد ذكر اسمهم بالنسبة الى اهل جوا يثير فيهم الكراهية والحقد بما جلبه

هؤلاء عليهم وعلى بلادهم من مصائب وما اقترنت به اسماؤهم من ذكريات مفجعة . ولا غرابة ، فان هذه الاسماء تقوم رمزا على الغزو البرتغالى لبلادهم وتمثل وحشية العصور الوسطى التى جلبت البؤس والدمار الى كل بيت واستذلت بلادهم الجميلة . وما من شك فى ان هذه الذكريات ليست هى الروح التى يريد الغرب ان يستبقيها فى الشرق

ان العالم ليبدو وكأنه لم يفد من عبر الحروب الاستعمارية الماضية . فالتغييرات السياسية الواسعة التى تسود آسيا ، والثورة الاجتماعيةالتى بدأت تكتسحها عقب الحرب العالمية الثانية ، يجب ان تلقن دارسى التاريخ المعاصر درسا هاما ، هو أن تيار الاستعمار الغربى فى آسيا قد اخذ ينحسر عنها الى غير رجعة . لقد استطاعت القومية ان تنفذ الى كل مكان فى أوروبا خلال القرن التاسع عشر ، ولم تستطع قوة كائنة ماكانت أن تطفىء شعلتها ، وكذلك نهضة آسيا الجديدة ، وما تنطوى عليه من تغييرات سياسية وثقافية ، لن تستطيع قوة ان تقف فى سبيلها او تعرقل نموها . ان المسألة لم تعد الا مسألة وقت ومسألة اختيار الوسيلة التى تتحقق بها اهداف هذه النهضة ، والامر كله فى يد الدول الاستعمارية التى لا تزال رابضة فى آسيا ، ان شاءت انسحبت منها بسلام ، فتعمل بذلك على اقامة صلات جديدة على اساس من المساواة والنفع المتبادل بينها وبين الشعوب التى كانت خاضعة لها ، وان شاءت انسحبت منها كذلك ، ولكن بعد ان تكون قد خلفت وراءها شعورا مريرا من العداوة والبغضاء . والهند تود ان تكون على صلات من الصداقة والمودة مع البرتغال ، كما هو الشأن فى علاقاتها مع كل دولة أخرى ، وتأمل ان يبادلها حكام البرتغال هذه الرغبة برغبة مماثلة فيتخذوا موقفا واقعيا حيال مشكلة استقلال جوا

فهرس

صفحة

مطابع دار الهلال بالقاهرة

सत्यमेव जयते

صدر عن مكتب النشر والاستعلامات
للسفارة الهندية بالقاهرة
مارس ١٩٥٦